في الصداقة!

عندما يفتح الشريف العاقل عينيه صباحاً، يرى كثيراً من الناس، ولكنه حين يفتحهما مرة ثانية عند الشدائد، لا يرى من ينقذه أو يواسيه.

يطلقون كلمة «صديق» على شخص عرفوه بين ليلة وضحاها، في امكنة اللهو والفساد. والكلمات: الصديق والصداقة والصدوق... كلها تنبع من معين واحد هو الصدق.

للصداقة قدسيتها وسحرها ومغزاها.

قدسيتها مستمدة من انبياء الله ورسله الصالحين، من عباده، فسيدنا ايوب عليه السلام لقب بالصديق لصدق صبره الجميل، والسيد المسيح عليه الصلاة والسلام دعي بالصديق لسمو صدقه في دعوته الحقة، والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) سمي بالصادق الامين، كما ان الخليفة ابا بكر نادوه «يا صديق» لوفائه واخلاصه وتفانيه في صداقته مع الناس. لنتمثل بهم وبامثالهم لانهم ضربوا اروع امثلة في الصداقة الصحيحة.

وللصداقة سحرها ايضاً. اليست التعبير الملائم نحو الشخص الذي نأنس به، ونلجأ اليه ونحدثه عن آلامنا وآمالنا؟ اليست اللفظ الذي يطلق على من يشاركنا فرحنا وترحنا؟ اليست ابلغ كلمة تنطوي على اعمق معنى من معاني الشعور بالمحبة بين شخصين لديهما شعور متشابه ويبوح احدهما إلى الآخر بما لا يستطيع الادلاء به حتى لاقرب المقربين اليه؟

وللصداقة مغزاها العميق، فهي منبثقة من سويداء قلوب الاصدقاء الذين تآلفوا وتحابوا، فغدا هذا التآلف أو التحاب يربط للصديقين بروابط متينة تجمع بينهما.

لذا، ينبغي عدم التسرع في اختيار الاصدقاء، ولننتق لانفسنا منهم الاصلح فالاصلح، فنستطيع عندها ان نفاخر بان لنا اَصدقاء نتشرف بمعرفتهم، ليس لسمو اصلهم وكرم محتدهم واصالة ارومتهم فحسب، بل لاخلاقهم العالية التي تزداد شموخاً يوماً بعد يوم. اقول: «الاخلاق» لانها كلمة واحدة تدرج فيها اعمق معاني الكرم والايثار والتضحية.

قالت العرب: «صديقك من صدقك لا من صدّقك» اي صديقك من اذا حدثك حدثك في صدق، بلا مصانعة أو مراوغة، لا من صدقك في حديثك معه مجاراة لك، ولكي يحظى بشكرك له وبتحقيق اغراضه منك.

الصديق هو الذي يغار عليك وليس منك، فيقوّم اعوجاجك اذا شذذت، ويحملك إذا وقعت، ويضحي من اجلك حين التضحية، فيؤثرك على نفسه، ويعتبر نفسه ناقصة في معزل عنك، اذا شكوت الماً احس به حتى كأنكما شخص واحد. هكذا تكون الصداقة والوفاء والايمان، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

الصدق يكمن في الكلام، في الموقف، في المواطنة بل في مراعاة الكرامة البشرية، فلنتصادق على اساسه لكي نبقى فعلاً في قيد الحياة وفي زمن الناس!.

د. جهاد نعمان

استاذ في جامعة القديس يوسف